

في الأدب الفرنسى

غير أن الحياة السياسية جذبت إليها فرغب فيها ، ومال إليها فرشح نفسه للنيابة وفاز في الانتخاب عام ١٨٣٣ دون أن يكون له آراء أو مبادئ سياسية مرسومة محددة . ثم اندمج شيئاً فشيئاً في صفوف المعارضة . ووجهته أشعاره نحو الآراء الديمقراطية فاستقبلها وحفل بها . ويدو ذلك جلياً واضحاً في مؤلفه (تاريخ الجيرونديين) عام ١٨٤٧ . وقد ساعد على سقوط الملكية بتمهيد الطريق لثورة يولية ١٨٣٠ التي انتهت بخلع شارل العاشر ، وبتنصيب مجلس النواب الفرنسى دوق أورليان (لويس فيليب فيما بعد) ملكاً على الفرنسيين . وانتخب لامرتين عام ١٨٤٨ وزيراً للخارجية في الحكومة المؤقتة التي تألفت من الجمهوريين والاشتراكيين حين ملت فرنسا حكم فيليب ، إلا أن لامرتين أضطر الى اعتزال السياسة والعودة إلى الحياة الخاصة بعد أن حل لويس نابليون المجلس وشتت أعضائه عام ١٨٥١ .

وقد كانت كهولة لامرتين محزنة إذ اضطر ، تحت عبء الحاجة للمال ، الى الانقطاع الى الإنتاج العاجل المهيئ لعبقريته والقاتل لذكائه . وقضى في الخامس والعشرين من فبراير عام ١٨٦٩ بعد أن باع أكثر عقاره الموروث .

شعره :

هو شاعر عظيم ولكنه ليس بفنان موهوب ، هو « هاوي الشعر » كما يقول هو عن نفسه . وهو لا يستطيع حين يعوزه الوحي والالهام أن يفعل مثل غيره من الشعراء فيلجأ الى كفاءته ومقدرته في الصياغة والتأليف ليسد بها حاجته وليشبع بها رغبته . غير أن مجموعة أشعاره الأولى « التأملات » تكفى من غير شك لأن تجعل من لامرتين شيخاً للشعر الفرنسى الحديث . وقد ساعد على ذلك أن مجموعته الشعرية هذه تضمنت كل الصفات الغنائية التي فانت شعراء القرن السالف الذين كانوا ينظمون أشعاراً موسيقية في كل الموضوعات دون أن يفيضوا عليها شيئاً من ارواحهم . أما لامرتين فينشدها ما أحس ، من فرح أو حزن ، ومن سرور أو ألم ، ومن راحة أو صعب

لامرتين والخريف

لامرتين شاعر رائق الفكر ، سليم الأسلوب ، رقيق العبارة . وهو واحد من شعراء فرنسا المجيدين في القرن التاسع عشر . وإليه يعزى الفضل في إحياء الشعر الغنائى الفرنسى الحديث .

ولد في ماكون ، في اليوم الحادى والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٧٩٠ . وكان أبوه ملكياً متحمساً . وقد اضطر بعد عهد الإرهاب إلى الاعتكاف في ضيعته في بلدة ميي Milly على مقربة من مسقط رأسه ماكون . وهناك شب ونما في أسرة حنون ومناظر طبيعية غاية في الجمال .

وقد القيت مقاليد تربيته إلى قسيس كريم كان لحبه للأقاصيص وطفه بها أثر كبير في لامرتين ، حين كتب قصته « جوسلان Jocelyn » . أرسله أبوه بعد ذلك إلى كلية ليون ثم إلى مدرسة بليي Belley الاكليريكية . وكانت دراسته حتى ذلك الحين ضئيلة تافهة قومها بعد خروجه من المدرسة بمطالعاته العديدة ، وبانعامه النظر في الطبيعة ، وبجريه وراء الأحلام والخيال .

انتظم عام ١٤ في فرقة حرس الملك لويس الثامن عشر ، ولم يتركها إلا بعد « المائة يوم » . وفي عام ١٨٢٠ نشر مجموعة من الأشعار باسم « التأملات » . وقد لاقت هذه المجموعة نجاحاً منقطع النظير ، وكان لها أثر كبير في شهرة لامرتين وتوجيه حياته في طريق العظمة والمجد . وفي العام التالى عين كاتباً لسر المفوضية الفرنسية بفلورنسا . ونشر عام ١٨٢٣ مجموعة شعرية جديدة سماها « التأملات الجديدة » ، ثم دخل ، بعد ذلك بسبع سنين ، (الأكاديمية الفرنسية) وعكف على الرحلة والأسفار فزار بلاد اليونان وسورية وفلسطين . وكتب عند عودته ، سياحة في الشرق .

وعبقرية لامرئين في مرونة اشعاره وتنوعها وفي تعبيره لدقيق
عن العواطف السامية والافصاح عنها الافصاح كله
وهو شاعر الطبيعة . عرف روح الاشياء ولكنها دون ان
يتجشم مرة محاولة تصويرها وتلوينها ، وهو يحب على الاخص ساعات
الغسق وفصل الخريف الذي تبرز بمظاهره الاخيلة والاوهام في رقة
وعذوبة . وهكذا يتلاشى فكره ، الذي ليس له من غاية محدودة ،
في سحابات مبهمة عديدة ، وهو بذلك يعرف كيف يستخلص لنا
منها فكرة ويفصح عما يحول في خاطره في موسيقى عذبة جذابة .
وقد بلغ لامرئين بوضوح الاسلوب وصفاته وتوافق نظمها وإيقاعه
— وهما خلتان لازمتان للكاتب — درجة لم يبلغها شاعر قط . وقد
ابدى لامرئين - دون تكلف أو جهد أو صقل - في نظم اشعاره
وترقيتها وتنظيمها . غير ان البساطة والسهولة اللتين نظم بهما
اشعاره اسما تا اليه من حيث لا يدري . فقد جعلناه عرضة للسهو
واستعمال العبارات المبهمة الغامضة ، والقوافي النائية الركيكة وذلك
نجدد بوضوح حتى في القطع الجيدة القليلة من شعره .

مؤلفاته :

كتب لامرئين ، غير اشعاره الغنائية التي اشهرها « التاملات
الشعرية » و « التاملات الجديدة » اشعارا أخرى قصصية وفلسفية
نذكر منها « موت صقراط » و « جوسلان » و « سقوط ملاك » . هذا الى
مجموعة من المذكرات والقصص مثل « رحلة في الشرق » و « روائيل
« جرازيل » . وقد كتب ايضا في التاريخ « تاريخ الجيرونديين » ولم
ينس في آخريات أيامه ان يكتب « دروسا عامة في الادب » .
والقطعة التي اعرض لترجمتها اليوم هي قطعة من مجموعة
اشعاره التاملات الاولى . وقد كتبها في خريف عام ١٨١٩ .
ولم تكن حالته الصحية وقتئذ على حال من الثبات والاستقرار .
فقد كان نهبا لشتى آلام وعلل . هذا الى صدمة تلقاها من قبل ،
اذ رفضت خطبته الآنسة ماريان اليسا بيرسن الانجليزية التي
أصبحت له فيما بعد زوجة . وهو يشير في الفقرة السابعة الى هذا
الامل الضائع .

وقد اوحى بها الى لامرئين نوبة حادة من الحزن والكبد وقد
صار موضوعها من الموضوعات التي يتميز بها شعر جماعة
(الرومانتيكين) . فالخريف ؛ صورة من الفناء والموت ، يحمل بين
طياته الحسرة والندم على السعادة الذاهبة .

وقد كتب في هذا الموضوع نفر من الشعراء الانجليز
والفرنسيين الا أن لامرئين أسبغ عليه فيضا من التعبيرات الدقيقة

استخلصها من حس رقيق وخيال واسع وقريحة خصبة . قال :

— ١ —

سلام عليك ايها الخنازل المكدلة بفضلة من الحضرة ! ويا ايها
الاوراق المصفرة المتناثرة على العشب ، سلام عليك ايها الايام
الاخيرة الجميلة ! ان حداد الطبيعة يلثم والى ، ويتفق ومشاربي .

— ٢ —

وهأنذا اسير في الطريق المنعزل حالما مفكرا ، ويحلولي ان
ارى ثانية للمرة الاخيرة الشمس الكاسفة ، وقد أخذ شعاعها الواهي
الضئيل يكشف الطريق بعدلأى لقدحى وسط ظلمة الخنازل الحالكة

— ٣ —

حقاً اني اجد في لحاظ الطبيعة المحجة حين تقضى في ايام
الخريف جاذبية وسحرا ، انها وداع صديق ، بل هي ابتسامة لشفتين
سيلجما عما قريب الموت الى الابد .

— ٤ —

وهأنذا وقد شارفت أفق الحياة ، ما زلت اتلفت وانا ابكي امل
ايام الطويلة المتلاشى ، وانعم نظري في حزن وحسرة في محاسن
الحياة التي لم اتمتع بها بعد .

— ٥ —

يا ايها الغبراء ، ويا شمس ، ويا وديان ، ويا ايها الطبيعة الجميلة
الحلوة ، اني مدين لكن بدمعة وانا على حافة قبرى ! ما اعقب النساء
بالعطور ! وما انق الضوء ! وما اجمل الشمس في نظر المحتضر !

— ٦ —

كم أود الآن ان استشف هذه الكأس وقد امتزج فيها الرقيق
بالمر . فلربما تبقى لي في هذه الكأس التي اتناول فيها الحياة ،
قطرة من الشهد

— ٧ —

ولربما اخني الى المستقبل ايضا في ثاياه أوبة لسعادة ضاع الأمل
فيها ! ولربما تفهم نفسى ؛ من بين الصفوف ، نفس اجهلها فتجيبني !...

— ٨ —

تسقط الزهرة تاركة عطرها للريح الدبور ، وهذا وداعها للحياة
والشمس . وهأنذا اموت ! وروحي حين تفيض تتصاعد كرجع
صوت حزين شجي

محمود فهمي ادريس

ليسانسيه في اللغة الفرنسية وادبها

(الرسالة) نشرنا هذه المقالة تشجما لشباننا الناشئين في الادب ولعلم قبل
أن يفكروا في الكتابة يستكملون أداتها الضرورية من نحو وبيان ، فإن اهتم ذلك شبر
ما يؤخذ به الكاتب .